

الإعلام بشرح حديث الراهب والغلام

(٤ ذو الحجة ١٤٣٦ هـ)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣). أما بعد:

^(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

^(٢) سورة النساء: (١).

^(٣) سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. وإنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

معاصر المسلمون، روى مسلم في صحيحه (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه. فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه^(٤)، فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم آساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني

^(٤) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: فسمع منه فأعجبه كلامه، لأن هذا الراهب - يعني العابد - عابد لله عز وجل، لا يتكلم إلا بالخير، وقد يكون راهباً عالماً لكن تغلب عليه العبادة فسمي بما يغلب عليه من الرهبانية. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٣).

أنت اليوم أفضل مني. قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله، فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجئ بالراهب فقل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جئ بجليس الملك فقل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جئ بالغلام فقل له: ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتكم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به



فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كناتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام. ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

قوله: (مرّ بالراهب) ^(٥) يعني: عابداً وعنده بعض العلم، شيء من العلم النافع. (وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال له) أي: لئلا ينكشف أمر الراهب لأنه في زمن ضعفت فيه شوكة أهل الدين وقويت فيه شوكة أهل الإلحاد والكفر (قال له: إذا خشيت الساحر فقل: حسبي أهلي. وإذا خشيت أهلك فقل: حسبي الساحر) نعم، وهذا فيه نوع حق لأنه إذا أتى الساحر لا شك أنه قد كان محبوساً في بيته وفي بعض حاجته عند أهله، فهذا خبر صادق من حيث الظاهر، وإذا أتى أهله لا شك أن الساحر قد حبسه في تعليم ما يملئ عليه ومن السحر لكنه أراد في هذا القيل أن يجعل هذا الغلام في عافية من الأذى.

نعم أيها المسلمون. (فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس في الطريق) جاء في جامع الترمذي ^(٦) بسند صححه العلامة الألباني: (قد حبسهم دابة فقال بعضهم إن تلك الدابة أسداً)

^(٥) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: فطلب من الملك أن يختار له شاباً غلاماً يعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً، فعلمه ما علمه، ولكن الله تعالى قد أراد بهذا الغلام خيراً. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٣).

^(٦) برقم (٣٣٤٠) وسنده صحيح.

(فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال:

اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس^(٧). فرماها فقتلها ومضى الناس. فأثنى الراهب فأخبره^(٨)، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني^(٩) نعم، لأنه أخذ العلم مأخذ العمل، مأخذ الاعتقاد أخذه بجِدٍّ فحيثُئذ صار موفقاً وصار يعمل بهذا العلم، وعنده من الثقة بالله أمر يتجاوز الوصف.

^(٧) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: وهذا من نعمة الله على العبد، أن الإنسان إذا شك في الأمر ثم طلب من الله آية تبين له شأن هذا الأمر فبينه الله له، فإن هذا من نعمة الله عليه. ومن ثم شرعت الاستخارة، للإنسان إذا هم بالأمر وأشكل عليه: هل في إقدامه خير أم في إحجامه خير، فإنه يستخير الله، وإذا استخار الله بصدق وإيمان فإن الله تعالى يعطيه ما يستدل به على أن الخير في الإقدام أو الإحجام. إما بشيء يلقيه في قلبه ينشر صدره لهذا أو لهذا، وإما برؤيا يراها في المنام، وإما بمشورة أحد من الناس، وإما بغير ذلك. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٤).

^(٨) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: فعرف الغلام أن أمر الراهب خير من أمر الساحر، وهذا أمر لا شك فيه؛ لأن الساحر إما معتد ظالم، وإما كافر مشرك، فإن كان يستعين على سحره بالشياطين يتقرب إليهم ويعبدهم ويدعوهم ويستغيث بهم فهو كافر مشرك. وإن كان لا يفعل هذا لكن يعتدي على الناس بأدوية فيها سحر فهذا ظالم معتد. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٤).

^(٩) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: وذلك لأن الغلام دعا الله فاستجاب الله له. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٤).

(قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ) أي: لا أريد أن أتعرض للأذية. (وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء^(١٠))، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله^(١١). فإن

^(١٠) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: وكان من كرامات هذا الغلام أنه يبرئ الأكمة والأبرص، يعني أنه يدعو لهم فيبرأون، وهذا من كرامات الله له. وليس كقصة عيسى بن مريم يمسح صاحب العاهة فيبرأ، بل هذا يدعو الله فيستجيب الله تعالي دعاءه، فيبرئ بدعائه الأكمة والأبرص. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٤-٣٥).

^(١١) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: انظر إلى الإيثار! لم يغتر بنفسه وادعي أنه هو الذي يشفي المرضى، بل قال: إنما يشفيك الله عز وجل، وهذا يشبه من بعض الوجوه ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله عليه -، حينما جرى إليه برجل مصروع قد صرعه الجنى، فقرأ عليه شيخ الإسلام ابن تيميه ولكنه لم يخرج، فجعل شيخ الإسلام يضربه على رقبته ضرباً شديداً، حتى إن يد شيخ الإسلام أوجعته من الضرب. فتكلم الجنى الذي في الرجل وقال له: أخرج كرامة للشيخ، فقال له الشيخ رحمه الله: لا تخرج كرامة لي ولكن أخرج طاعة لله ولرسوله. لا يريد أن يكون له فضل، بل الفضل لله عز وجل أولاً وآخراً. فخرج الجنى. فلما خرج الجنى استيقظ الرجل فقال: ما الذي جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ لأنه حينما صرع يمكن أنه كان في بيته أو سوقه، قال: ما الذي جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ فقالوا: سبحان الله! ألم تحس بالضرب الذي كان يضربك؟ قال: ما أحسست به ولا أوجعني. فأخبروه، فبريء الرجل! الشاهد أن أهل العلم والإيمان لا ينسبون نعمة الله إليهم، وإنما ينسبونها إلى مولئها عز وجل وهو الله. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٥).

أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك^(١٢). فأمن بالله فدعا الله له، فشفاه الله^(١٣). فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي.

^(١٢) إن الله سميع الدعاء. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال جل ذكره: ﴿وَأَنَّا كُنتُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وقال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم». فقال رجل من القوم: إذا نكث. قال: «الله أكثر». (أخرجه الترمذي (٣٥٧٣) والحاكم (١٨١٦) / صحيح).

^(١٣) الشافي الله، والطبيب الله، وهو الذي أنزل الداء والدواء. قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه: «أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً». (أخرجه البخاري (٥٧٥٠) ومسلم (٢١٩١)).

قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دل على الراهب) وهذا الغلام صبي صغير. تعذيب الجسد أتعبه وآله وآذاه، فدلَّ على هذا الراهب وإن كان قد وعده بالكتمان، ولكن لحكمة يعلمها الله، لكن العذاب أحياناً لا يطاق. (فجئ بالراهب) أن هذا الذي يدعو الناس إلى الله، ويدل على حقيقة أن هذا الملك الجبار الظالم دجال من الدجاجلة. (فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى^(١٤)) الآن لا بد من الثبات، وقد كان يتخفى في صومعته لكن حيث

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شرح الحديث: ففي هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي وأنه لا شفاء إلا شفاؤه فتضمنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته. ("زاد المعاد" / ٤ / ص ١٧٢).

عن أبي رزمة رضي الله عنه: أن أباه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أرني هذا الذي بظهرك فإني رجل طبيب قال: «الله الطبيب بل أنت رجل رفيق طبيها الذي خلقها». (أخرجه أبو داود (٤٢٠٧) / صحيح).

^(١٥) عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون». (أخرجه البخاري (٣٦١٢)).

قد أظهر الله الأمر فلا بد من صبر. (فدعا بالمنشار فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه^(١٥))، ثم جئ بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه^(١٦). ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك) فالأمر جد. (فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتكم ذروته^(١٧)) فإن رجع عن دينه، وإلا

^(١٥) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: فشذبوه من مفرق رأسه - من نصف الجسم - فبدأوا بالرأس ، ثم الرقبة، ثم الظهر حتى انقسم قسمين - شقين: سقط شق هنا وشق هنا - ولكنه لم يشنه ذلك عن دينه. أبي أن يرجع، ورضي أن يقتل هذه القتلة ولا يرجع عن دينه - ما شاء الله -! ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٦).

^(١٦) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: فدعي أن يرجع عن دينه فأبى، ففعل به كما فعل بالراهب ، ولم يرد ذلك عن دينه. وهذا يدل على أن الإنسان يجب عليه أن يصبر. ولكن هل يجب على الإنسان أن يصبر على القتل، أو يجوز أن يقول كلمة الكفر دفعا للإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان وإن شاء أصر وأبى ولو قتل، هذا إذا كان الأمر عائداً إلى الإنسان بنفسه يعني مثلاً قيل له: اسجد للصنم، فلم يسجد، فقتل، أو سجد دفعا للإكراه ولم يقتل.

أما إذا كان الأمر يتعلق بالدين ، بمعنى أنه لو كفر الكفر، بل يجب أن يصبر ولو قتل، كالجهاد في سبيل الله. المجاهد يقدم على القتل ولو قتل، لأنه يريد أن تكون كلمة الله هي العليا، فإذا كان إماماً للناس وأجبر على أن يقول كلمة الكفر فإنه لا يجوز أن يقول كلمة الكفر، لا سيما في زمن الفتنة، بل عليه أن يصبر ولو قتل. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٦).

^(١٧) قال الإمام النووي رحمه الله: ((ذروة الجبل)): أعلاه ، وهي - بكسر الذال المعجمة وضمها - ("رياض الصالحين" / ص ٤٧).

فاطرحوه. فذهبوا به) هذا الغلام لا يدري أين يذهبون به، ولكنه قال كلمة نفعه الله بها (فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا).

ومن عجيب ثقته بالله وتوكله على الله: أنه لم يفرّ بل رجع إلى قصر الملك (وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور)^(١٨) وهو القارب (فتوسّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به) وهذا الغلام لا يدري إلى أين يذهب به ولكنه قال كلمة نفعه الله بها (فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت)^(١٩) ولم يرد أن يرجع عن دينه^(٢٠). وصدق الله إذ يقول: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ

^(١٨) قال الإمام النووي رحمه الله: و((القرقور)): بضم القافين نوع من السفن. ("رياض الصالحين"/ ص ٤٧).

^(١٩) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: أن الله عز وجل يحب دعوة المضطر إذا دعاه، فإذا دعا الإنسان ربه في حال ضرورة موقناً أن الله يجيبه، فإن الله تعالى يجيبه، حتى الكفار إذا دعوا الله في حال الضرورة أجابهم الله، مع أنه يعلم أنهم سيرجعون إلى الكفر، إذا غشيهم موج كالظل في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا نجاهم أشركوا، فينجيهم لأنهم صدقوا في الرجوع إلى الله عند دعائهم، وهو سبحانه يحب المضطر ولو كان كافراً. ("شرح رياض الصالحين"/ ٤ / ص ٣٩).

^(٢٠) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: لأن الإيمان قد وقر في قلبه، ولا يمكن أن يتحول أو يتزعزع. ("شرح رياض الصالحين"/ ٤ / ص ٣٧).

بالذين من دونك ﴿ [الزمر: ٣٦]، هي كلمة نافعة للقلب الحي والضمير المملوء
بذكر الله والثقة به والوكل عليه والإيمان به.

(فانكفأت^(٢١) بهم السفينة فغرقوا) وهذا أمر العجب العجاب لأن الأصل
أنها تنكفئ بهم جميعاً. لكن حفظه الله فيها وألصقه بها كالمغناطيس. فلما انكفأت
بهؤلاء رجعت على حالها، ثم رجع به القرقور إلى ساحل البحر. ومن عجيب أمره
أنه لم يفرّ أيضاً في هذه المرة. رجع إلى قصر الملك. (وجاء يمشي إلى الملك فقال له
الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله) الله أكبر، هكذا الإيمان يصنع
العجائب بأصحابه حتى وإن كانوا صغاراً. ولذلك كان رسول الله يعلم الصغار
العقيدة لأنها تكون في قلوبهم منقوشة كالنقش على الحجر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢٢) قال: كنت خلف رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو
اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا

^(٢١) قال الإمام النووي رحمه الله: و((انكفأت)) أي: انقلبت. ("رياض الصالحين"/ ص ٤٧).

^(٢٢) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة/ باب- ٥٩/ (٢٥١٦)/ مكتبة المعارف). قال الإمام الوادعي رحمه
الله: صحيح لغيره ("الصحيح المسند" رقم (٦٨٥)/ دار الآثار).

على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف».

فتحيّر الملك كيف يصنع بهذا الغلام؟ لأنه الآن يشعر أن بطش الله قد صار قريباً منه إذا زاد طغيانه على هذا الغلام. فقال الغلام مشتغلاً لهذا المقام منتهزاً هذه الفرصة يدعو الناس إلى الله ولو خاطر بحياته، لأن النفس إلى الموت، والدنيا إلى الفوت. فإذا كان الأمر كذلك فخاطر بنفسه لأجل أن يؤمن الناس برّب الغلام لا بذلك الملك الجبار الدجال الماكر الذي سيطر على الناس بالسحر والطلاسم.

(فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال: وما هو؟ قال:

تجمع الناس في صعيد^(٢٣) واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام. ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات^(٢٤). فقال الناس: آمنا برّب

^(٢٣) قال الإمام النووي رحمه الله: و((الصعيد)) هنا: الأرض البارزة. ("رياض الصالحين"/ ص ٤٧).

^(٢٤) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: أن الإنسان يجوز أن يغتر بنفسه في مصلحة عامة للمسلمين، فإن هذا الغلام دل الملك على أمر يقتله به ويهلك به نفسه، وهو أن يأخذ سهماً من كنانته ويضعه في كبد القوس ويقول: باسم

الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأني الملك فقيل له: أرايت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس).

الله رب الغلام. قال شيخ الإسلام: ((لأن هذا جهاد في سبيل الله، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئاً، لأنه مات وسيموت إن آجلاً أو عاجلاً)).

فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار، بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدم بها إلى الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم، فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله. ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم أبداً الأبد، كما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام. لأن هذا قتل نفسه لا في مصلحة الإسلام، لأنه إذا قتل نفسه وقتل عشرة أو مائة أو مائتين، لم ينتفع الإسلام بذلك، فلم يسلم الناس، بخلاف قصة الغلام، فإن فيها لإسلام كثير من الناس، فكل من حضر في الصعيد أسلموا، أما أن يموت عشرة أو عشرون أو مائة أو مائتان من العدو، فهذا لا يقتضي أن يسلم، بل ربما يتعنت العدو أكثر ويوغر صدره هذا العمل حتى يفتك بالمسلمين أشد فتك، كما يوجد من صنع اليهود مع أهل فلسطين، فإن أهل فلسطين إذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات وقتل ستة أو سبعة أخذوا من جراء ذلك ستين نفراً أو أكثر، فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين، ولا انتفاع للذين فجرت هذه المتفجرات في صفوفهم. ولهذا نرى أن ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار، نرى أنه قتل للنفس بغير حق، وأنه موجب لدخول النار والعياذ بالله، وإن صاحبه ليس بشهيد. لكن إذا فعل الإنسان هذا متأولاً ظاناً أنه جائز، فإننا نرجو أن يسلم من الإثم، وأما أن تكتب له الشهادة فلا؛ لأنه لم يسلك طريقة الشهادة، لكنه يسلم من الإثم لأنه متأول، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر. (شرح رياض الصالحين / ٤ / ص ٣٩-٤٠).

فحينئذ لم يبق معه إلا لغة السوط والتعذيب والإحراق^(٢٥). (فأمر بالأخدود)^(٢٦) في أفواه السكك فخذت وأضرم^(٢٧) النيران وقال: من لم يرجع عن

^(٢٥) إن أهل الباطل والأهواء إذا غلب عليهم بالحجج لم يرجعوا إلى الحق، بل حادوا إلى استعمال الأذية والعذاب.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في قصة إبراهيم: لما قضى في القدم بسابقه سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آبائه في التمجس، فأقبل يناظر أباه في دين الشرك، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد. وهذا جواب يتداوله أهل الباطل من يوم حرفوه، وبه أجاب فرعون موسى ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري﴾، وبه أجاب الجهمية الإمام أحمد لما عرضه على الشياطين، وبه أجاب أهل البدع شيخ الإسلام حين استدعوه السجن. ("الفوائد" / ص ٤٠).

وقال رحمه الله في شأن إبراهيم عليه السلام وقومه: ولما غلب اعداء الله معه بالحجة وظهرت حجته عليهم وكسر أصنامهم فكسر حججهم ومعبودهم هموا بعقوبته والقائه في النار. وهذا شأن المبطلين إذا غلبوا وقامت عليهم الحجة هموا بالعقوبة، كما قال فرعون لموسى عليه السلام وقد أقام عليه الحجة: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾. [الشعراء: ٢٩]. ("جلاء الأفهام" / ص ٢٧٥).

وقال العلامة الشاطبي رحمه الله في بعض أهل الباطل: كل من كان له صولة منهم بقرب الملوك فإنهم تناولوا أهل السنة بكل نكال وعذاب وقتل. ("الاعتصام" / الباب الثاني / ص ٩١ / دار العقيدة).

^(٢٦) قال الإمام النووي رحمه الله: و((الأخدود)) الشقوق في الأرض كالنهر الصغير. ("رياض الصالحين" / ص ٤٧).

^(٢٧) قال الإمام النووي رحمه الله: و((أضرم)): أوقد. ("رياض الصالحين" / ص ٤٧).

دينه فأحموه فيها^(٢٨) أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست^(٢٩) أن تقع فيها) لأنها تنظر إلى هذا الصبي ترحمه لأنهم سيقذفون بها وبه (فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق^(٣٠)). الله أكبر.

هذه القصة معاشر المسلمين فيها عظات وعبر. ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ^(٣١)﴾ [الكهف: ١٣].

^(٢٨) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٧).

^(٢٩) قال الإمام النووي رحمه الله: و((تقاعست)) : توقفت وجبت . ("رياض الصالحين" / ص ٤٧).

^(٣٠) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: يقوله وهو صغير لا يتكلم ، لكن أنطقه الله الذي أنطق كل شيء ، وهو كرامة لهذه الأم ، أن الله أنطق ابنها من أجل أن تقوي على أن تقتحم النار وتبقي علي إيمانها ، لأن تكلم هذا الصبي في المهد آية عظيمة. وقد شهد هذا الصبي بأن أمه على الحق، فصبرت واقتحمت النار، وهذا من آيات الله ، وهو دليل على أن الله تعالى (وَيُجِيبُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الزمر: ٦١) . ("شرح رياض الصالحين" / للعثيمين / ٤ / ص ٤٠-٤١).

^(٣١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿بالحق﴾ أي: على الجلية والأمر الذي لا لبس فيه ولا كذب، ولا وهم ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، كما قال تعالى: ﴿إن هذا هو القصص الحق﴾ [آل عمران: ٦٢] وقال تعالى: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [الكهف: ١٣] وقال تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ [مريم: ٣٤]. ("تفسير القرآن العظيم" / ٣ / ص ٨٢).

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾^(٣٢) [هود: ١٢٠]

نعم لا شك أن هؤلاء من أتباع الرسل، لا شك أنهم ساروا على ما سار عليه الرسل فلذلك جعل الله لنا في قصصهم عبرة. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾^(٣٣) **لأولي الأبواب** مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴿[يوسف: ١١١].

^(٣٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين - كل هذا مما ثبت به فؤادك - يا محمد - أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة. ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٣٦٣).

^(٣٣) قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه، كما قال ابن عباس: هلا اعتبرتم الأصابع بالأسنان؟ فإذا قال: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢]، وقال: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأبواب﴾ أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم؛ ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار؛ وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين أتباع الأنبياء، قال تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستتنا تحويلاً﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧]، وقال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢]. ("مجموع الفتاوى" / ١٣ / ص ٢٠).

هذه القصص التي يأتي بها الله لأمرين اثنين، الأمر الأول: البيان الشافي الكافي لبني إسرائيل أن هذا الدين دين الحق فلذلك فهم يختلفون في القصص التي كانت فيهم ويأتي القرآن بسردها على أحسن السياق والألفاظ وأبدع العبارات. نعم. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٣٤) [النمل: ٧٦] بكلام يأخذ بمجامع القلوب. هذه القصة معاشر المسلمين، صحابي هذه القصة صهيب وقد ذكرنا شيئاً من خبره.

وهذا الملك الجبار لم يكن له شيء يأخذ الناس فيه بالقناعات ولا بالقيم التي يقتنع الناس بها ويعتقدونها عن طوعية واختيار ولكن أمره كله بالسحر^(٣٥)، ولذلك خشي زوال مملكته إذا ما مات هذا الساحر المطلسم، فأراد أن يعلم

^(٣٤) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبيّنات والفرقان: إنه يقص على بني إسرائيل - وهم حملة التوراة والإنجيل - ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غلوا، فجاء إليهم القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام، عليه أفضل الصلاة والسلام. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٢١٠).

^(٣٥) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: أن رجلاً من الملوك فيمن سبق كان عنده ساحر اتخذه الملك بطانة؛ من أجل أن يستخدمه في مصالحه ولو على حساب الدين، لأن هذا الملك لا يهتم إلا بما فيه مصلحته، وهو ملك مستبد قد عبد الناس لنفسه. ("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٢).

غلاماً^(٣٦) فجعل الله زوال ملكه في هذا الغلام الذي أتى به ليستعين به على توطيد دعائم الحكم في الناس على الباطل على توطيد دعائم المملكة، فكان توطيد عروشها بإذن الله على يد هذا الغلام، كما كان شأن موسى مع فرعون أخذه قرّة عينه فكان له زوالاً بإذن الله، زوالاً له ولمملكته^(٣٧).

^(٣٦) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: واختار الغلام لأن الغلام أقبل للتعليم، ولأن التعليم للغلام الشاب هو الذي يبقى، ولا ينسي، ولهذا كان التعلم في الصغر خيراً بكثير من التعلم في الكبر، وفي كل خير، لكن التعلم في الصغر فيه فائدتان عظيمتان بل أكثر. الفائدة الأولى: أن الشاب في الغالب أسرع حفظاً من الكبير، لأن الشاب فارغ البال ليست عنده مشاكل توجب انشغاله.

وثانياً: أن ما يحفظه الشاب يبقى، وما يحفظه الكبير ينسي، ولهذا كان من الحكمة الشائعة بين الناس: ((إن العلم في الصغر كالنقش في الحجر)) لا يزول.

وفيه فائدة ثالثة: وهي أن الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر صار العلم كالسجية له والطبيعة له، وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشب عليه.

("شرح رياض الصالحين" / ٤ / ص ٣٣-٣٤).

^(٣٧) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدر الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احتزرت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيته وتدله وتنفده، وحتفك، وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٢٢١).

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ^(٣٨) لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وهم إنما

أخذوه ليكون له قرّة عين ولكنهم على الباطل فأوتوا من حيث لا يحتسبون^(٣٩).

نعم أيها المسلم وفي هذه القصة جواز التعريض^(٤٠) بالخبر إذا خشي الإنسان

على نفسه وعرضه ودينه^(٤١). وهذا الغلام قال كلاماً فيه إيهام لينجو بنفسه من أن

^(٣٨) حرف اللام في قوله: (ليكون) هنا، لام العاقبة. قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: ولم يعلموا أن لام العاقبة إنما تصح ممن يكون جاهلاً بعاقبة فعله، كفرعون الذي لم يكن يدري ما ينتهي إليه أمر موسى، أو ممن يكون عاجزاً عن رد عاقبة فعله، كعجز بني آدم عن دفع الموت عن أنفسهم والخراب عن ديارهم، فأما من هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وهو يريد لكل ما خلق؛ فيمتنع في حقه لام العاقبة التي تتضمن نفي العلم أو نفي القدرة. ("مجموع الفتاوى" / ١٧ / ص ١٠٠-١٠١).

^(٣٩) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وأراد سبحانه أن يرى عباده ما هو من أعظم آياته وهو أن يربي هذا المولود الذي ذبح فرعون ما شاء الله من الأولاد في طلبه في حجر فرعون وفي بيته وعلى فراشه. فكم في ضمن هذه الآية من حكمة ومصلحة ورحمة وهداية وتبصرة وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها ولم تكن لتوجد بدونها فإنه ممتنع. فمصلحة تلك الآية وحكمتها غمرت مفسدة ذبح الأبناء وجعلتها كأن لم تكن. ("شفاء العليل" / ص ٢٢٤).

^(٤٠) أما التعريض فهو لفظ استعمل في معناه ليلوح به إلى غرض آخر هو المقصود. ("الغيث الهامع شرح جمع الجوامع" / لأبي زرعة العراقي / ١ / ص ٢٠١ / ط. الفاروق).

^(٤١) ومن هذا الباب ما يسمى بالتورية، وهي لغة: الستر. وعرفاً: قصد مخالفة اللفظ بما لا يتبادر من معناه، وعبر عنه بأن يريد بكلامه خلاف ظاهره كأن يقول في الحرب "مات إمامكم" ناوياً أحداً من المتقدمين، ذكره ابن الكمال. وقال الفيومي: التورية أن تطلق لفظاً ظاهراً في معنى وتريد معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ لكنه خلاف ظاهره. ("التوقيف على مهمات التعاريف" / للمناوي / ص ١١٢).

ينكشف أمره وهو ما زال في مبتدأ الطريق ومبتدأ التعليم. وكان يقول: (حبسني الساحر) إذا أراد أهله، ويقول: (حبسني أهلي) إذا أراد الساحر.

وفي هذا أن الله عز وجل قد يجعل الكرمات لعبده ما يزداد إيمانه^(٤٢) وقناعة بما هو عليه من الكتاب والسنة. فكرامة تحصل على مرّ الأيام أن دابة تعتص طريق الناس فحينئذ يجعل الله لهذا الغلام كرامة يعرف بها صدق أمر الراهب وبطلان أمر الساحر. ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(٤٣) [طه: ٦٩].

تنبيه مهم: قال الفتوحى رحمه الله: الآن يكثرون من التورية، ويظن أنه قد نجا من الكذب، هذا يُنظر فيه، إن كان اللفظ يحتمل في اللغة المعنيين ولو فهم المخاطب المعنى الأبعد أو البعيد هذا ليس بكذب، لكن إذا كان اللفظ لا يحتمل واستعمله في المعنى البعيد فهذا كذب، فُيلتفت إلى هذا الأمر. ("شرح مختصر التحرير" / للفتوحى / ١٣ / ١٥).

^(٤٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومما ينبغي أن يعرف أن الكرمات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاها منها ما يقوّي إيمانه ويسدّ حاجته، ويكون مَنْ هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته. ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة. ("مجموع الفتاوى" / ١١ / ص ٢٨٣).

^(٤٣) قال الإمام ابن كثير رحمه الله في عصا موسى: فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئاً إلا تلقفته وابتلعتها، والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عياناً جهره، نهاراً ضحوة. فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وبطل ما كانوا يعملون؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾. ("تفسير ابن كثير" / ٥ / ص ٣٠٢).

﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾^(٤٤) [الأعراف: ١١٦]

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾^(٤٥)
[الأنبياء: ١٨].

ذاك الذي - وأبيك - تعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل^(٤٦).

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾^(٤٧)

^(٤٤) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال. ("تفسير ابن كثير" / ٣ / ص ٤٥٦).

^(٤٥) قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه؛ فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل؛ فيدمغه فإذا هو زاهق. ("مجموع الفتاوى" / ٢٨ / ص ٥٧).

^(٤٦) كما في "الخصائص" لابن جني (٢ / ص ٢٠٢).

^(٤٧) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: شبه سبحانه العلم الذي أنزله على رسوله بالماء الذي أنزله من السماء لما يحصل لكل واحد منهما من الحياة ومصالح العباد في معاشهم ومعادهم، ثم شبه القلوب بالأودية فقلب كبير يسع علما كثيرا كواد عظيم يسع ماء كثيرا، وقلب صغيرا إنما يسع علما قليلا كواد صغير إنما يسع ماء قليلا. فقال: (فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً). هذا مثل ضربة الله تعالى للعلم حين تخالط القلوب بشاشته فإنه يستخرج منها زبد الشبهات الباطلة فيطفو على وجه القلب كما يستخرج السيل من الوادي زبداً يعلو فوق الماء. وأخبر سبحانه أنه راب يطفو ويعلو على الماء لا يستقر في أرض الوادي. كذلك الشبهات الباطلة إذا أخرجها العلم ربت فوق القلوب وطفت فلا تستقر فيه بل تجفى وترمى فيستقر في القلب ما ينفع صاحبه

وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ
وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ^(٤٨) [الرعد: ١٧]

فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل^(٤٩).

والناس من الهدى ودين الحق كما يستقر في الوادي الماء الصافي ويذهب الزبد جفاء. وما يعقل عن الله أمثاله
إلا العالمون. ("مفتاح دار السعادة" / ١ / ص ٦١).

^(٤٨) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ثم ضرب سبحانه لذلك مثلاً آخر فقال: (وما يوقدون عليه في النار ابتغاء
حلية أو متاع زبد مثله) يعني أن ما يوقد عليه بنو آدم من الذهب والفضة والنحاس والحديد يخرج منه خبثه
وهو الزبد الذي تلقيه النار وتخرجه من ذلك الجوهر بسبب مخالطتها، فإنه يقذف ويلقى به ويستقر الجوهر
الخالص وحده. وضرب سبحانه مثلاً بالماء لما فيه من الحياة والتبريد والمنفعة ومثلاً بالنار لما فيها من الإضاءة
والإشراف والإحراق. فأيات القرآن تحيي القلوب كما تحيا الأرض بالماء وتحرق خبثها وشبهاتها وشهواتها
وسخائمتها كما تحرق النار ما يلقي فيها وتميز جيدها من زبدتها كما تميز النار الخبث من الذهب والفضة
والنحاس ونحوه منه. فهذا بعض ما في هذا المثل العظيم من العبر والعلم. ("مفتاح دار السعادة" / ١ /
ص ٦١).

^(٤٩) كما ذكره الثعالبي في "التمثيل والمحاضرة" (ص ٣).

جعل الله كرامة لهذا الصبي. وفي هذا إيمان أهل الحق بكرامة الأولياء. ونحن لا نغلو في كرامات الأولياء حتى ندعي الخواريق الشيطانية^(٥٠) والأكاذيب التي يجريها الشيطان على ألسنة الكهان فيما يزعمونه الخواريق والكرامات المكذوبة وأن بعضهم يطير في الهواء وبعضهم يتخلف عن صلاة الجماعة لأنه يصلي في الحرام المكّي وهو من أصحاب الخطوة. وكل هذا من الدجل على الناس. وإنما الكرامات ما كانت من عند الله، وتزيد لصاحبها إيماناً.

نعم أيها المسلمون، وفي هذا بيان ما جعل في بني إسرائيل من التطور في باب الطب والعناية في هذا الجانب. هذا الغلام كان يأتي الراهب وهذا الراهب كان من بني إسرائيل وكان فيهم أنبياء وملوك ومؤمنون، ولكن كان فيهم طغاة جبابرة ودجاجلة وكفار كهذا الملك الدجال. وبعد هذا أيها المسلمون كان يبرئ الأكمه والأبرص كما جعل الله في عيسى بن مريم إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، بل إحياء الموتى بإذن الله. فهم برعوا في هذا الجانب، فلذلك جاءت معجزة عيسى

^(٥٠) قال شيخ الإسلام رحمه الله: وإنما ظهرت هذه الأحوال الشيطانية التي أسبابها الكفر والفسوق والعصيان بحسب ظهور أسبابها، فحيث قوى الإيمان والتوحيد ونور الفرقان والإيمان وظهرت آثار النبوة والرسالة ضعفت هذه الأحوال الشيطانية، وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان قويت هذه الأحوال الشيطانية. ("مجموع الفتاوى" / ١ / ص ٣٦٣).

صلى الله عليه وسلم موافقة لما الناس فيه متقدمون في باب الطب جاءهم في باب هذا^(٥١). ما كانوا يستطيعون إبراء الأكمه والأبرص وما كانوا يستطيعون هم ولا غيرهم إحياء الموتى إنما جعل الله هذا كرامة ومعجزة أيد بها عيسى وأيد بإبراء الأكمه والأبرص من شاء من عباده الصالحين.

وفي هذا أيها المسلمون بيان أهمية الدعاء وأنه ينفع لا سيما في الشدائد. فهذا الصبي الصغير يقول: (اللهم اكفنيهم بما شئت). فأين أنت يا عبد الله في أيام الشدائد من الرجوع إلى الله وقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل) والاعتماد على الله في

^(٥١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى، عليه السلام، السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى، عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجهاد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله، عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبداً. ("تفسير القرآن العظيم" / ٢ / ص ٤٥).

الشدائد على وجه الخصوص . ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾^(٥٢) [النمل: ٦٢]

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٥٣) [البقرة: ١٨٦]

^(٥٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٢٠٣).

^(٥٣) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: والمراد من هذا: أنه تعالى لا يجيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء. وفيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى، كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا رجل أنه سمع أبا عثمان -هو النهدي- يحدث عن سلمان -يعني الفارسي- رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى ليستحيي أن يسط العبد إليه يديه يسأله فيها خيرا فيردهما خائبتين». ("تفسير القرآن العظيم" / ١ / ص ٥٠٦-٥٠٧).

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٥٤) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿[غافر: ٦٠]

وَأنت مضطر يكون جواب الله إليك أوكد، وتكون عناية الله بك أعظم.
(اللهم اكفنيهم بما شئت). فتتعجب يرصف الجبل والأصل أن يكون هو أولهم لأنه
صغير لا يتمالك ولا يستطيع أن يتشبث بجدران الجبل ولا بنواحيه ولا بجوانبه،
وهم قوم شداد أقوياء من حرس الملك فكيف رصف الجبل وسقط بهم وهم أقوياء
وحفظه الله رجع إلى بيت الملك وإلى قصره. الله أكبر، إنه الدعاء.

أتهزأ بالدعاء وتزدرية ... رويدك تدر ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطي ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء^(٥٥).

عليك بالدعاء فإنه ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

^(٥٤) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم

بالإجابة. ("تفسير القرآن العظيم" / ٧ / ص ١٥٣).

^(٥٥) كما في "ربيع الأبرار" (١ / ص ١٨٤).

في هذه القصة والعبر أن الابتلاء سنة الله في عباده وخلقه. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»^(٥٦).

نعم. ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾^(٥٧) [الكهف: ٧، ٨]

^(٥٦) أخرجه أحمد (١٤٨١) والترمذي (٢٣٩٨) الحاكم (١٢٠)/ صحيح.

^(٥٧) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة. وإنها جعلها دار اختبار لا دار قرار، فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

قال قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها، وفراغها وانقضائها، وذهابها وخرابها، فقال: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أي: وإننا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار، فنجعل كل شيء عليها هالكا ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾: لا ينبت ولا يتفتح به، كما قال العوفي، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا

إذن، ما جعل الله السماوات والأرض والجنة والنار إلا من أجل هذا الابتلاء لعباد الله. أين أنتم ذاهبون. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥٨) [الملك: ٢].

جرزا ﴿يقول: يهلك كل شيء عليها ويبعد. وقال مجاهد: ﴿صعيدا جرزا﴾ بلقعا. وقال قتادة: الصعيد: الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات.

وقال ابن زيد: الصعيد: الأرض التي ليس فيها شيء، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ [السجدة: ٢٧].
("تفسير القرآن العظيم" / ٥ / ص ١٣٧).

^(٥٨) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ثم قال: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق. ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم، ليلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملا؟ كما قال: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم﴾ [البقرة: ٢٨] فسمى الحال الأول -وهو العدم- موتا، وسمى هذه النشأة حياة. ولهذا قال: ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [البقرة: ٢٨]. ("تفسير القرآن العظيم" / ٨ / ص ١٧٦).

﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٥٩) [العنكبوت: ١ - ٣].

^(٥٩) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فليتأمل العبد سياق هذه الآيات وما تضمنته من العبر وكنوز الحكم فإن الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا وإما ألا يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر فمن قال: آمنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه والفتنة: الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب ومن لم يقل: آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه فإنه إنما يطوي المراحل في يديه

(وكيف يفر المرء عنه بذنبه ... إذا كان تطوى في يديه المراحل)

فمن آمن بالرسول وأطاعهم عاداه أعداؤهم وأذوه فابتلى بما يؤلمه وإن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة فحصل له ما يؤلمه وكان هذا المؤلم له أعظم ألما وأدوم من ألم أتباعهم فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير إلى الألم الدائم. وسئل الشافعي رحمه الله: أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول فأعقلهم من باع ألما مستمرا عظيما بألم منقطع يسير وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر. ("زاد المعاد" / ٣ / ص ١١).

نعم أيها المسلمون. هذا الابتلاء هذه سنة الله في عباده. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾^(٦٠) [الفرقان: ٢٠].

يبتلي الله المجرمين بالمؤمنين، ويبتلي الله المؤمنين بالمجرمين، والصراع بين الحق والباطل يعتلجان إلى قيام الساعة^(٦١)، الشعيد من كان في كفة أهل الإيثار، والشقي من كان في كفة أهل الدنيا العاجلة فإنها متاع قليل ثم يعود إلى جهنم وبئس المصير^(٦٢).

^(٦٠) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ أي: اختبرنا بعضكم ببعض، وبلونا بعضكم ببعض، لنعلم من يطيع من يعصي. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ١٠٠).

^(٦١) قال الإمام ابن عثيمين رحمه الله: ولما كان من حكمة الله البالغة أن يجعل للحق معارضين يتبين بمعارضتهم صواب الحق وظهوره على الباطل، فإن خالص الذهب لا يظهر إلا بعرضه على النار، قبض الله جل وعلا بقدرته التامة ولطفه الواسع وقهره الغالب من يدحض حجج هؤلاء المعارضين ويبين زيف شبههم إلخ. (مقدمة "تقريب التدمرية" / ص ٧ / مكتبة الإرشاد).

^(٦٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَا يَغْرَنكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبئس المهاد * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه، من النعمة والغبطة والسرور، فعما قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مرتين بأعمالهم السيئة، فإننا نمد لهم فيما هم فيه

ابتلي جليس الملك وعُذِّب، وابتلي الغلام وذلكم الراهب وابتلي هؤلاء المؤمنون خدت لهم أخايد ويقذفون في النار واحداً بعد آخر. من يطيع التحريق بالنار؟ ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم التحريق بالنار حتى ولو في كافر ومجرم. لا يعذب بالنار إلا رب النار^(٦٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بسنة سيد المرسلين.

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً، أما بعد:

استدرجا، وجميع ما هم فيه ﴿متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾. ("تفسير القرآن العظيم" / ٢ / ص ١٩٢).

^(٦٣) عن عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تعذبوا بعذاب الله». ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه». (أخرجه البخاري (٣٠١٧)).

معاشر المسلمين، في هذه القصة من العظات والعبر أن العمل في هذا الدين العظيم مسؤولية الجميع، ومسؤولية مشتركة^(٦٤). فهذا الغلام في حادثة سنه يرى أن واجباً عليه أن يقدم لهذا الدين خدمة أن يكون عاملاً في سلك هذا الدين في

^(٦٤) قال الإمام النووي رحمه الله: ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقي. وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ثم أنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أولاً يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف. قال العلماء رضى الله عنهم: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين. ("شرح النووي على مسلم" ٢ / ص ٢٣).

والقائم بفرض الكفاية له مزية على غيره. قال إمام الحرمين رحمه الله: ليس يخفى على ذوي البصائر والتقى أن القيام بالذب عن الإسلام وحفظ الحوزة مفروض. وذوو التمكن والافتقار مخاطبون به. فإن استقل به كفاة سقط الفرض عن الباقي. وإن تقاعدوا وتواكلوا عمّ كافة المقتدرين الحرج على تفاوت المناصب والدرج ثم الذي أراه أن القيام بما هو من فروض الكفايات أخرى بإحراز الدرجات، وأعلى من فنون القربات من فرائض الأعيان، فإن ما تعين على المتعبد المكلف لو تركه ولم يقابل أمر الشارع فيه بارتسام اختص المأثم به، ولو أقامه فهو الماثب، ولو فرض تعطيل فرض من فروض الكفايات لعَمَّ المأثم على الكافة على اختلاف الرتب والدرجات، والقائم به كلف نفسه وكافة المخاطبين الحرج والعقاب وآمل أفضل الثواب. ولا يهون قدر من يحل محل المسلمين أجمعين في القيام بمهم من مهمات الدين.

ثم يقضي عليه بأنه من فروض الكفايات قد يتعين على بعض الناس في بعض الأوقات فإن من مات رفيقه في طريقه ولم يحضر موته غيره تعين عليه القيام بغسله وتكفينه ودفنه. ومن عثر على بعض المضطرين وانتهى إلى ذي مخمصة من المسلمين واستمكن من سد جوعته وكفاية حاجته، ولو تعداه ووكله إلى من عداه لأوشك أن يهلك في ضيعته، فيتعين على العاثر عليه القيام بكافيته. ("غياث الأمم في التياث الظلم" ص ١٤٢-١٤٣).

دعوة الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعادة الدنيا والآخرة يدعوههم، ولو كلف هذا بذل المهجة، بذل نفسه وأنفاسه. فلذلك بذل نفسه رخيصة زهيدة في جوار (آمناء رب الغلام) بجانب تلك الكلمة التي شرح صدور المؤمنين (آمناء رب الغلام) بذل المهجة ونفسه النفيسة من أجل هذا الدين، فيعلم الناس جميعاً أن هذا الدين وحمل قوائمه هذا الدين مسؤولية مشتركة بحسب ما يطبقون^(٦٥). ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٦٦).

^(٦٥) قال الإمام ابن النحاس رحمه الله: للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين من حيث أنه أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين. ("تنبيه الغافلين" / ص ٣١).

فمن هذه الحيثية فرض الكفاية أفضل من فرض العين. وقد نقل أبو علي الشيعي عن أهل التحقيق أن فرض الكفاية أهم من فرض العين، والاشتغال به أفضل من الاشتغال بأداء فرض العين. (كما في "تنبيه الغافلين" / ص ٣٢).

^(٦٦) أخرجه مسلم (٤٩).

هذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال القرطبي رحمه الله: ولوجوبه شرطان: أحدهما: العلم بكون ذلك الفعل منكراً أو معروفاً. والثاني: القدرة على التغيير. فإذا كان ذلك، تعين التغيير باليد إن كان ذلك المنكر مما يحتاج في تغييره إليها، مثل: كسر أواني الخمر، وآلات اللهو؛ كالمزامير والأوتار

قم بهذا الواجب. هذا الدين مسؤولية مشتركة^(٦٧).

والكبر، وكمنع الظالم من الضرب والقتل وغير ذلك، فإن لم يقدر بنفسه، استعان بغيره، فإن خاف من ذلك ثوران فتنة، وإشهار سلاح، تعين رفع ذلك إلى الإمام، فإن لم يقدر على ذلك، غير بالقول المرتجى نفعه، من لين أو إغلاظ؛ حسب ما يكون أنفع، وقد يبلغ بالرفق والسياسة، إلى ما لا يبلغ بالسيف والرياسة.

فإن خاف من القول القتل أو الأذى، غير بقلبه، ومعناه: أن يكره ذلك الفعل بقلبه، ويعزم على أن لو قدر على التغيير لغير. وهذه آخر خصلة من الخصال المتعينة على المؤمن في تغيير المنكر، وهي المعبر عنها في الحديث بأنها أضعف الإيمان، أي: خصال الإيمان، ولم يبق بعدها للمؤمن مرتبة أخرى في تغيير المنكر؛ ولذلك قال في الرواية الأخرى: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، أي: لم يبق وراء هذه الرتبة رتبة أخرى، والإيمان في هذا الحديث بمعنى الإسلام؛ على ما تقدم.

وفي هذا الحديث: دليل على أن من خاف على نفسه القتل أو الضرر، سقط عنه التغيير، وهو مذهب المحققين سلفا وخلفا.

انتهى من "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" ١ / ١٤٩-١٥٠).

^(٦٧) لو سكت أهل الحق عن خبث أهل الأهواء لفسد دين الأمة. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥١].

قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: وإنما يقوى الباطل إذا تبصره وتمسك عنه. ("الاختلاف في اللفظ" / له / ص ٦١ / دار الراجعية).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة. ("مجموع الفتاوى" / ٣ / ص ١٠٤).

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: وإنما يعمل أهل الباطل وينشطون عند اختفاء العلم وظهور الجهل، وخلو الميدان ممن يقول: قال الله وقال الرسول، فعند ذلك يستأسدون ضد غيرهم وينشطون في باطلهم، لعدم وجود من يخشونهم من أهل الحق والإيمان وأهل البصيرة. ("مجموع فتاوى ومقالات ابن باز" / ٤ / ص ٧٥ / دار أصدقاء المجتمع).

وقال الإمام الألباني رحمه الله: فالواجب عليك - أيها المسلم - أن تتقي الله أينما كنت، وأن تحذر أسباب الهلاك، وأن تحذر ذلك من حولك من أهل وأولاد وجيران وغيرهم، وأن تعين على الحق أينما كنت، وأن تعين على ترك الباطل أينما كنت، وأن تكون صادقاً في ذلك، لا تخف في الله لومة لائم، وعليك أن تحمل السلاح دائماً، وعليك بالجهاد، أي: أن تنكر المنكر، وأن تدعو إلى الحق، وأن تكون أبداً في جهاد وفي صبر ومصابرة لإقرار الحق والدعوة إليه، بكلامك الطيب وأسلوبك الحسن، لا بالعنف والشدة، بل تكون مجاهداً في قولك وجهادك ودعوتك إلى الله وأمرك بالمعروف وإنكارك المنكر؛ فإن الدعوة إلى الله جهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد، وهذا سلاح المؤمن الذي ينفع الله به العباد، ليس السلاح السيف والبندق فقط، لا الدعوة سلاح ينفع الله به العباد، بالحكمة، والكلام الطيب، والأسلوب الحسن، وإقامة الأدلة، كما قال الله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فلا تياس، ولا ينبغي اليأس، بل ينبغي للمؤمن أن يكون دائماً حريصاً على الحق، طالباً له، داعياً إليه، راغباً فيه، معجباً به، لا يقول: هذا قد فرط وانتهى الأمر وهلك الناس، لا.

الناس فيهم خير وفيهم بقية محبة للخير، وبقية رغبة في الحق، فعليك أن تشارك في الخير، وأن تحذر الباطل، وأن تحذر من الباطل، وألا تيأس من إقامة الحق، ومن القضاء على الباطل منك ومن إخوانك ومن دولتك، ومن سائر إخوانك المسلمين، بالتعاون على البر والتقوى، وبالتواصي بالحق والصبر عليه.

وإذا يئس الناس وأخذوا بالبطالة، وأخذوا باليأس؛ ساد المنكر وانتشر، وقل الخير ولا حول ولا قوة إلا بالله! ولكن ما داموا يشعرون بواجب، وما داموا يعملون ويكافحون فإن الشر ينقص، ولا يخفى ما وجد الآن -بحمد الله- من الحركات الإسلامية الكثيرة في الشباب وغير الشباب، وهذا يبشر بخير كثير، وهناك حركات أخرى شيطانية خبيثة تدعو للشر، فالواجب الكفاح، والواجب تأييد الحق ومن قام به، والحرص على كف الباطل ومن قام به، والقضاء عليه حسب الطاقة والإمكان، بالتعاون على البر والتقوى، وبالتواصي بالحق والصبر عليه.

وهكذا مناصحة ولادة الأمور، ومناصحة أعيان البلاد، ومناصحة من تستطيع أن تنصحه؛ لأن الدين النصيحة، لا تيأس ولا تقل: هذا أمر قد انتهى، بل عليك بالنصيحة والتوجيه إلى الخير، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧].

(انتهى من "دروس للشيخ الألباني" / ١٩ / ص ٤).

وقال الإمام الوادعي رحمه الله: والبدع تظهر إذا لم يقم أهل السنة ينشر -سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم- إلى قوله: - فإذا ظهرت السنة فإن البدعة ترحل من البلد التي فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ("غارة الأشرطة" / ٢ / ص ١٥٥-١٥٦).

وقال الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيم رحمه الله: واجب العالم الديني أن ينشط إلى الهداية كلما نشط الضلال، وأن يسارع إلى نصرته الحق كلما رأى الباطل يصارعه، وأن يحارب البدعة والشر والفساد قبل

إياك أن تتخلى عن هذا الدين فيكلك الله على نفسك فيجعلك من الهالكين.
 إياك أن تخلد إلى الدنيا إياك أن ترضى بحطامها على حساب دينك. أيها المسلمون
 هذه القصة حوت عبراً وحكماً وأحكاماً ومسائل نافعة. وهذه القصة التي جعل الله
 لنا عبرة ذكرت في سورة البروج^(٦٨): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ *
 وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ
 * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ
 فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ

أن تمدد مدّها، وتبلغ أشدّها، وقبل أن يتعوّدها الناس، فترسخ جذورها في النفوس، ويعسر اقتلاعها.
 ("الآثار"/ له/ كما في "الصوارف عن الحق"/ لحمد بن إبراهيم العثمان/ ص ١٤٣ / دار الإمام أحمد).

^(٦٨) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٣٣٤٠) بسند صحيح، وفيه: «... فقال الناس: لقد علم هذا الغلام علماً ما علمه أحد، فإننا نؤمن بربّ هذا الغلام. قال: فقليل للملك: أجزعت أن خالفك ثلاثة. فهذا العالم كله قد خالفوك. قال: فخذ أخذوداً ثم ألقى فيها الخطب والنار، ثم جمع الناس فقال: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار. فجعل يلقيهم في تلك الأخدود. قال: يقول الله تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود ﴾ حتى بلغ ﴿ العزيز الحميد ﴾». قال فأما الغلام فإنه دفن فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

* إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿[البروج: ١-١٦].

فتنوا المؤمنين والمؤمنات. فتنوهم عن ماذا؟ عن وظائفهم أم دراھيمهم أم دنائيرهم أم أوطانهم؟ لا بل عن دينهم. فتلک أعظم فتنة. ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٦٩) [البقرة: ١٩١]. لأن يقتل الرجل أهون عند الله من أن يفتن في دينه ويلقى الله كافراً أو منافقاً ويلقى في النار وبئس المصير. إذا فتن في دينه ورضي بمتابعة الكفار طواعية بعد أن أقهر عليه قهراً وأجبر عليه جبراً فتن في دينه، والله المستعان^(٧٠).

^(٦٩) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل؛ ولهذا قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾. ("تفسير القرآن العظيم" / ١ / ص ٥٢٤-٢٥٢).

^(٧٠) قال الإمام ابن قدامة رحمه الله في شأن من نطق بالكفر مكرهاً: فإذا ثبت أنه لم يكفر، فمتى زال عنه الإكراه، أمر بإظهار إسلامه، فإن أظهره فهو باق على إسلامه، وإن أظهر الكفر حكم أنه كفر من حين نطق به؛ لأننا تبينا بذلك أنه كان منشراح الصدر بالكفر من حين نطق به، مختاراً له. وإن قامت عليه بينة أنه نطق بكلمة الكفر، وكان محبوساً عند الكفار، ومقيداً عندهم في حالة خوف، لم يحكم برده؛ لأن ذلك ظاهر في الإكراه. وإن شهدت أنه كان آمناً حال نطقه به، حكم برده. ("المغني" / فصل: أكره على الكفر / ١٩ / ص ٤٩٣).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ^(٧١) [البروج: ١٧-١٨].

إذن، ذكر الله عز وجل مستطريداً في قصص المجرمين عندما ذكر قصة أصحاب الأخدود. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ^(٧٢) * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿ [البروج: ١٩-٢٢].

إذا كان الكفار محيطين بأهل الإيثار بالله من ورائهم محيط. وإذا كان الكفار الجبابرة مقتدرين على أهل الإسلام بالله من ورائهم مقتدر، وإذا كان الكفار قد أحاطوا بأهل الإيثار من كل جانب بالله من ورائهم محيط. هذا تهديد من الله أنه مهما قويت دولتك ومهما قويت جبروتك فإن الله محيط بك والله عليهم مقتدر.

^(٧١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردّها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله: ﴿إِنْ بَطِشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٍ﴾ أي: إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً، أخذ عزيز مقتدر. ("تفسير القرآن العظيم" / ٨ / ص ٣٧٢).

^(٧٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: هو قادر عليهم، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه. ("تفسير القرآن العظيم" / ٨ / ص ٣٧٣).

* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ^(٧٣) ﴿البروج: ١٩-٢٢﴾.

تأملوا في قصص الماضين وما جرى لهم من ابتلاءات وكان الله عز وجل بالكافرين محيطاً. نعم، قصة مؤمني آل ياسين فكذبوهما. قال الله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهُوا لِنَرْجِئَنَّكُمْ وَلِيَمَسَّكُمْ مِمَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ^(٧٤) * وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴿ياسين: ١٤-٢٠﴾.

^(٧٣) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي: عظيم كريم، ﴿في لوح محفوظ﴾ أي: هو في الملائ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل. ("تفسير القرآن العظيم" / ٨ / ص ٣٧٣).

^(٧٤) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: فقالت لهم رسلهم: ﴿طائركم معكم﴾ أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْرِئُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا يَكُونُوا طَائِرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال قوم صالح: ﴿اطيرنا بك وبمن معك﴾ قال طائركم عند الله ﴿[النمل: ٤٧] . وقال قتادة، ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] . وقوله: ﴿أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص

هذا رجل مؤمن يتعجب من طغيان هؤلاء القوم: ثلاثة من الرسل وأنتم تجاهونهم بالصد والتكذيب؟ نعم، هكذا يتلى أنبياء الله ورسله في أقوامهم وأممهم. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ^(٧٥)﴾ [إبراهيم: ١٣].

العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ ص ٥٧٠).

^(٧٥) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلهم، من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقال قوم لوط: ﴿أُخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيْسْفَتَزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِلا يَلْبِثُونَ خَلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وكان من صنعه تعالى: أنه أظهر رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصاراً وأعواناً وجنداً، يقاتلون في سبيل الله، ولم يزل يرقيه الله تعالى من شيء إلى شيء، حتى فتح له مكة التي أخرجته، ومكن له فيها، وأرغم أناف أعدائه منهم، ومن سائر أهل الأرض، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها في أيسر زمان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنْ جَنَّادُنَا هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ ص ٤٨٣).

أيها المسلمون سنة الله في عباده هي الابتلاء.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٧٦) * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٧٧) [سورة ياسين: ٢٠-٢٠]. الآن يجهر بها بين أظهرهم. ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ [سورة ياسين: ٢٥].

فعندما صرح بها بين أظهرهم أقبلوا عليه وضربوه ضرباً شديداً ورفسوه رفساً شديداً حتى قيل إنهم أخرجوا أمعاءه إلى الخارج فقتلوه وأماتوا، وهو إنما

^(٧٦) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ : يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ أي: على إبلاغ الرسالة، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ فيها يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٥٧٠).

^(٧٧) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقتني وحده لا شريك له، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً. فإن الله لو أرادني بسوء، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: إن اتخذتها آلهة من دون الله. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٥٧١).

جاءهم بالدعوة الحسنة وبعد هذا نصّحهم ميتا: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٧]

قال بعد العلماء: نصّح هذا الرجل قومه حياً وميتاً. قيل إنه حبيب النجار. وهذا خبر من أخبار بني إسرائيل. هذا المؤمن ابتلي لأنه قال: ربي الله، ولأنه آمن بالمرسلين صدّق المرسلين.

يا عباد الله إن من مغازي قصة الملك والغلام: أن نقول: ما أشبه الليلة بالبارحة. فبنو إسرائيل واليهود في هذا العصر والصهيانية في هذا العصر زاد طغيانهم على مرّ السنين والشهور والأعوام المنصرمة منذ أن دخلوا إلى فلسطين وهم يقتلون ويشردون ويذبحون ويضطهدون ويتتهكون الحرمات وهم لا زالوا يرفلون في ثوب السيادة الغير الشرعية، ولكن لا يزال الأمر هكذا وهكذا في الناس في بلاد الفلسطينيين، ولا يزال دخولهم واقعاً إلى البيت المقدس وإلى مسجد الأقصى ولكنهم فيما سمعنا وسمعتم مؤخراً هجموا على هذا المسجد العظيم المبارك الذي هو أولى القبلتين ومهبط الرسالة السماوية السابقة، هجموا عليه صراحة وقوّضوا بنيانه وفجروه تفجيراً حتى سقطت أركانه فيما تداوله الناس من الأخبار. الله أكبر ما أشبه قصة الغلام مع الملك والساحر بقصة الصهيانية اليوم. فالיום يظهر خبرهم

إن شاء الله لكن من كان لا يزال يحسن الظن ويظن أن هؤلاء لهم شيء من الأمان ويوفون بشيء من عهود والعقود. لا والله. فهم أهل غدر على مر التاريخ فلذلك أخذهم النبي صلى الله عليه وسلم بجريرتهم بالمدينة. كلهم خونة أهل غدر وخيانة. عاهد بني قينقاع فاعتدوا على امرأة ونزعوا خمارها وحجابها من فوقها فأخذهم النبي صلى الله عليه وسلم بجريمتهم وأجلاهم من المدينة^(٧٨).

^(٧٨) قال قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن أبي عون قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سواؤها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج ، قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي قال فأعرض عنه . فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول . قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا ، ثم قال ويحك أرسلني ، قال لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله امرؤ أخشى الدوائر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

عاهد بني النضير فتناً أو عليه ويضعون عليه الرحا على سقف بيت ليقتلوه
به فيستريحوا منه. أين الوفاء بالعهود والعقود. أخذهم بجريرتهم وأجلاهم إلى بلاد
الشام^(٧٩).

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في محاصرته إياهم بشير بن عبد
المنذر وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .
(انتهى من "سيرة ابن هشام" / ٢ / ص ٤٧-٤٨).

^(٧٩) قال قال ابن القيم رحمه الله: ثم نقض العهد بنو النضير قال البخاري : وكان ذلك بعد ستة أشهر قاله عروة
وسبب ذلك أنه خرج إليهم في نفر من أصحابه وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين اللذين قتلها عمرو بن أمية
الضمري فقالوا : نفعل يا أبا القاسم اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك وخلا بعضهم ببعض وسول لهم
الشیطان الشقاء الذي كتب عليهم فتأمروا بقتله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أيكم يأخذ هذه الرحا ويصعد
فيلقيها على رأسه يشدخه بها ؟ فقال أشقاها عمرو بن جحاش : أنا فقال لهم سلام بن مشكم : لا تفعلوا فوالله
ليخبرن بما همتم به وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه وجاء الوحي على الفور إليه من ربه تبارك وتعالى بما
هموا به فنهض مسرعا وتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه فقالوا : نهضت ولم نشعر بك فأخبرهم بما همتم يهود
به وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها وقد أجلتكم عشرة
فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه فأقاموا أياما يتجهزون وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي : أن لا
تخرجوا من دياركم فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من
غطفان وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنا لا
نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونهضوا إليه وعلي بن أبي
طالب يحمل اللواء فلما انتهى إليهم قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة واعتزلتهم قريظة وخانهم ابن
أبي وحلفاؤهم من غطفان ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم وجعل مثلهم ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان
اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾ (الحشر : ١٦) فإن سورة الحشر هي سورة بني النضير وفيها مبدأ قصتهم

عاهد بني قريظة فما كان منهم إلا غدر وخيانة وتمكين لأعداء الله من الأحزاب لدخول المدينة. فأخذهم رسول الله بجريرة ما صنعوا فقتل رجالهم وسبا نساءهم وذراريهم^(٨٠).

ونهايتها فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وحرقت فارسوا إليها : نحن نخرج عن المدينة فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذراريهم وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح وقبض النبي صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة وهي السلاح وكانت بنو النضير خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنوائبه ومصالح المسلمين ولم يخلصها لأن الله أفاءها عليه ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب وخمس قريظة.

(انتهى من "زاد المعاد" / ٣ / ص ١١٥).

^(٨١) قال قال ابن القيم رحمه الله: وكان سبب غزوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة الخندق والقوم معه صلح جاء حبي بن أخطب إلى بني قريظة في ديارهم فقال : قد جئكم بعز الدهر جئكم بقريش على سادتها وغطفان على قادتها وأنتم أهل الشوكة والسلاح فهلهم حتى نناجز محمدا ونفرغ منه فقال له رئيسهم : بل جئتنى والله بذل الدهر جئتنى بسحاب قد أراق ماءه فهو يرعد ويرق فلم يزل حبي يخادعه ويعدده ويمنيه حتى أجابه بشرط أن يدخل معه في حصنه يصيبه ما أصابهم ففعل ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهروا سبه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فأرسل يستعلم الأمر فوجدهم قد نقضوا العهد فكبر وقال : «أبشروا يا معشر المسلمين».

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لم يكن إلا أن وضع سلاحه فجاءه جبريل فقال : أوضعت السلاح والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها! فانفض بمن معك إلى بني قريظة فإني سائر أمامك أنزل بهم حصونهم وأقذف في قلوبهم الرعب فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم

على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار وقال لأصحابه يومئذ: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» فبادروا إلى امتثال أمره ونهضوا من فورهم - إلى قوله:-

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ونازل حصون بني قريظة وحصرهم خمسا وعشرين ليلة ولما اشتد عليهم الحصار عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال: إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد في دينه وإما أن يقتلوا ذرارهم ويخرجوا بالسيوف مصلته يناجزونه حتى يظفروا به أو يقتلوا عن آخرهم، وإما أن يهجموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويكبسوه يوم السبت لأنهم قد أمنوا أن يقتلهم فيه فأبوا عليه أن يجيبوه إلى واحدة منهم فبعثوا إليه أن أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره فلما رأوه قاموا في وجهه يبكون وقالوا: يا أبا لبابة! كيف ترى لنا أن نزل على حكم محمد؟ فقال: نعم وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبح ثم علم من فوره أنه قد خان الله ورسوله فمضى على وجهه ولم يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى المسجد مسجداً المدينة فربط نفسه بسارية المسجد وحلف ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبداً فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال: «دعوه حتى يتوب الله عليه» ثم تاب الله عليه وحله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم إنهم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه الأوس فقالوا: يا رسول الله! قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت وهم حلفاء إخواننا الخزرج وهؤلاء موالينا فأحسن فيهم فقال: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى قال: «فذاك إلى سعد بن معاذ» قالوا: قد رضينا فأرسل إلى سعد بن معاذ وكان في المدينة لم يخرج معهم لجرح كان به فأركب حمارا وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يقولون له وهم كنفته: يا سعد! أجمل إلى مواليك فأحسن فيهم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حكمك فيهم لتحسن فيهم وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئا فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فلما سمعوا ذلك منه رجع بعضهم إلى المدينة فنعى إليهم القوم فلما انتهى سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال للصحابه: «قوموا إلى سيدكم» فلما أنزلوه قالوا: يا سعد! إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك قال: وحكمي نافذ عليهم؟ قالوا: نعم قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم قال: على من هاهنا وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له وتعظيما؟ قال: «نعم وعلي». قال: فإنني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال فقال رسول الله صلى الله

هكذا سامهم الله ألوان العذاب في عهد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم،
وأخبر عنهم في آخر الزمان أنهم سَيَقْتَلُونَ وسيُفْعَلُ بهم كما فعلوا بغيرهم. ﴿فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا
مَا عَلَّوْا تَبِيرًا﴾^(٨١) [الإسراء: ٧].

عليه وسلم : «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات» وأسلم منهم تلك الليلة نفر قبل النزول
وهرب عمرو بن سعد فانطلق فلم يعلم أين ذهب وكان قد أبى الدخول معهم في نقض العهد فلما حكم فيهم
بذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كل من جرت عليه الموسيقى منهم ومن لم ينبت ألحق بالذرية
فحفروا لهم خنادق في سوق المدينة وضربت أعناقهم وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة ولم يقتل من النساء أحد
سوى امرأة واحدة كانت طرحت على رأس سويد بن الصامت رعى فقتلته وجعل يذهب بهم إلى الخنادق
أرسالا أرسالا فقالوا لرئيسهم كعب بن أسد : يا كعب ! ما تراه يصنع بنا ؟ فقال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟
أما ترون الداعي لا ينزع والذاهب منكم لا يرجع هو والله القتل.

(انتهى من "زاد المعاد" / ٣ / ص ١١٧-١٢٠).

^(٨١) قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: وقوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول: وليدخل
عدوكم الذي أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة، كما دخلوه أول مرة حين أفسدتم الفساد
الأول في الأرض. وأما قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَّوْا تَبِيرًا﴾ فإنه يقول: وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا،
يقال منه: دمرت البلد: إذا خربت وأهلك أهلها، وتبر تبرا وتبارا، وتبرته أتبره تبيرا، ومنه قول الله تعالى ذكره:
﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ يعني: هلاكاً. ("الجامع لأحكام القرآن" / ١٧ / ص ٣٨٨).

فهم بالأمس كانوا لا يزالون يراوغون^(٨٢) وأنهم يتركون للناس صلاحية العبادة، وسماعة الخطبة، وأداء الشعائر في البيت المقدس، ولكنهم اليوم قوّضوا بنيان هذا البناء المبارك هذا المسجد العظيم الذي ذكر في كتاب الله خبره، وهو أولى القبلتين ومهبط الرسالة السماوية. فلا شك ولا ريب بإذن الله في وعد الله أن قصة المسجد الأقصى لن تكون كقصة ناقة صالح أن الناس من حولها انقسموا ما بين فاعل ومجرم ومعتد ومتفرج في المقابل. لا. بل أيها الصهاينة أيها اليهود اعلموا علم اليقين أن الله عز وجل قد أذن بالتمكين لدينه ولكن بالأمر الذي يعلم بالتهيئة التي يريد في عبادته، ليس بالحماسات الفارغة، ولا بالأحزمة الناسفة، ولا بالعناوين الكاذبة التي لا ضامن تحتها ولكن بالتمسك بهذا الدين والأخذ عليه بالنواجذ

^(٨٢) اليهود كذابون دجالون. قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت. (أخرجه البخاري (٣٣٢٩)).

ولم يستحيوا من الله نقضهم ميثاقهم، فكيف أن يستحيوا من عباده؟ قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

ورجوع الناس إلى الله رجوعاً صادقاً^(٨٣) فحينئذ إن نصر الله قريب، ولكن من المؤمنين والمحسنين. فقصة المسجد الأقصى بعد ما هدم بناءه ستكون بإذن الله كقصة هذا الغلام: أن تحصل اليقظة في الناس وأن يعرف الناس عدوم وأنهم سيجابونهم في الغد القريب بإعلام العداوة لجميع المسلمين لأنه إذا شعر بفشل الخطة النفاقية في شعوب المسلمين وأنه لم يمض ما أراده وأن خطته تكون على مهاوي الفشل فإنه حينئذ سيظهر في الشاشة وأنه سيواجه المسلمين أجمعين.

^(٨٣) إن معاصي العباد سبب للذب والهوان، ولم ترجع عزة هذه الأمة إلا بالرجوع الصادق إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». (أخرجه أبو داود (٣٤٦٢))^(٨٣).

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: وأنه كلما أذنب أبق من ربه عز وجل وكلما أبق ازداد عيباً وكلما ازداد عيباً ازداد نقصاً في القدر والجاه. ("نوادير الأصول في أحاديث الرسول" / ١ / ص ٢١٨).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «... ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»^(٨٤).

إذن، يحصل الغدر العام وتحصل الخيانة العظمى من جميع الكفار على جميع المسلمين، ولكن الفرج حينئذ يقرب^(٨٥).

^(٨٤) أخرجه البخاري (كتاب الجزية والموادعة/ باب ما يحذر من الغدر/ (٣١٧٦)/ دار السلام) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

^(٨٥) عن سير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد وكان متكئا فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا - ونحاهما نحو الشام - فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم. وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتنفى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتنفى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبية فيقتتلون حتى يمسا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتنفى الشرطة. فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتتلون مقتلة - إما قال: لا يرى مثلها وإما قال: لم ير مثلها - حتى إن الطائر ليمر بجناهم فما خلفهم حتى يخر ميتا فيتعبد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم فيبينها هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراهم فيرفضون ما

يخرج الله المهدي للمسلمين أجمعين^(٨٦) ويحصل التمكين لهذا الدين وتأتي الجنود المجندة، وتأتي إليه من كل صدع لتكون من موكب هذا الرجل الصالح من

في أيديهم ويقبلون فيعثنون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف أسماهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ». (أخرجه مسلم (كتاب الفتن/ باب إقبال الروم في كثرة القتال/ (٢٨٩٩)/ دار الكتاب العربي)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سمعت بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر». قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها». قال ثور: لا أعلمه إلا قال: «الذي في البحر. ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر. ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر. فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا فيبيننا هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون». (أخرجه مسلم (كتاب الفتن/ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل.../ (٢٩٢٠)/ دار الكتاب العربي)).

^(٨٦) سورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطى المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة يعيش سبعا أو ثمانيا، يعني: حججاً». ("المستدرک" / ٤ / ص ٥٥٨ / كتاب الفتن والملاحم / دار الباز / الحديث صحيح).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً». قال: «ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً». (أخرجه الإمام أحمد ((١١٣١٢)) / الرسالة / الحديث صحيح).

أهل بيت النبوة المهدي مهدي المسلمين فحينئذ يجمع الكفار ما بقي من أوباشهم وكباشهم للذبح إن شاء الله يجتمعون لمواجهة هذا المهدي وجنده وجيشه الذي ينصره الله ويؤيده الله على هؤلاء اليهود الصهاينة المحتلين المعتدين فحينئذ يخسف بأول هذا الجيش وآخره.

عن عائشة رضي الله عنها^(٨٧)، قالت: عبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه، فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجب

الأحاديث في المهدي متواترة.

وفي "صحيح مسلم" إشارة إلى ظهور المهدي أيضاً. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة - قال - فينزل عيسى ابن مريم - صلى الله عليه وسلم - فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا. فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمته الله هذه الأمة». (أخرجه مسلم (كتاب الإيمان / باب نزول عيسى / (١٥٦) / دار الكتاب العربي).

وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة». (أخرجه أبو داود / كتاب المهدي / باب - ١ / (٤٢٨٤) / مكتبة المعارف).

فإنه لا يثبت.

^(٨٧) أخرجه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤).

إن ناساً من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس، قال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم»^(٨٨).

وبعد هذا تتابع الآيات ينزل عيسى بن مريم^(٨٩) من السماء على أعقاب خروج المسيح الدجال فيقتله شر القتلة ويذوب كما يذوب الملح في الماء فحينئذ يأتي

^(٨٨) يستفاد من الحديث: تحريم إكثار سواد أهل الباطل، وجوب مفارقتهم لئلا ينالنا سوء العواقب.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي من ضرورة البشرية ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته. ("فتح الباري" / لابن حجر / ٤ / ص ٣٤١).

^(٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: وقرأوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به من قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾. (أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء / باب نزول عيسى / (٣٤٤٨) / دار الكتاب العربي) ومسلم (كتاب الإيمان / باب نزول عيسى / (١٥٥) / دار الكتاب العربي)).

ما هو أعظم المسيح الدجال من حيث الكثرة والعدد، يأتي يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون. وبعد هذا يقيض الله دود النعف في رقاب يأجوج ومأجوج فيصبحون فرسى تقتل نفس واحدة، ثم يجار إلى الله عيسى والمؤمنون أن يزيل الله عز وجل هذا البلاء فقد ملأ الأرض نتنهم وريحهم الكريه فأرسل الله طيرا كأعناق البخت تأخذهم حيث شاء الله^(٩٠).

^(٩٠) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفف فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم». قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخففت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طائفة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن. فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالاً يا عباد الله فاثبتوا». قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال: «أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيناه فيه صلاة يوم قال: «لا اقدروا له قدره». قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمدّه خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيحاسب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فيبيننا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي

والله إنها أخبر به رسول الله الكوائن وما ينطق عن الهوى. وبعد هذا يعيش الناس في رخاء وأمن وعبادة ودين وصلاح واستقامة الحال ما شاء الله، ويموت عيسى ابن مريم ويصلي عليه المسلمون، ويدفونه كسائر أنبياء الله. وتضعف

دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينها هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادي لا يدان لأحد بقتلهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم ومنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردى بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فيبينها هم كذلك إذ بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة». (أخرجه مسلم (كتاب الفتن / باب ذكر الدجال / (٢٩٣٧) / دار الكتاب العربي).

أخلاق الناس ويضعف دين الناس من بعد هذا فيأتي الله بالساعة آخر الأحداث^(٩١).

نعم أيها المسلمون. هكذا أحداث متوالية. عليك يا عبد الله أن تحرص على نفسك بالإسلام والإيمان والإحسان، والإحصان لفرجك وعرضك وأن تكون في موكب أهل الإيمان وأن تكون ملازماً لصلاتك وعبادتك حتى يختم الله لك

^(٩١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً -، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحداً من دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه». قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا - قال - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله - قال - فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - مطراً كأنه الطل أو الظل - نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلي ربكم. وقفوهم إنهم مسئولون - قال - ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال: من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين - قال - فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق». (أخرجه مسلم (كتاب الفتن/ باب في خروج الدجال/ (٢٩٤٠)/ دار الكتاب العربي)).

بالحسنى فأنت في زمن قد كثر شره على خيريه، قد مرجت عهود الناس واختلطت أمورهم، قد كثر الهرج والفتن^(٩٢). وما أخبر به رسول الله قادم.

يقول عليه الصلاة والسلام كما في "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٩٣): «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون^(٩٤) حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

فهذا الخزي إن شاء الله قادم على صهاينة وهاءم اليوم قد أعلنوا صفحتهم في العالم أنهم ليسوا أعداء لفئة من الناس بل هم أعداء لجميع أهل الإسلام. وهاءم

^(٩٢) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد/ باب قتال اليهود/ (٢٩٢٦)/ دار السلام) مسلم (كتاب الفتن/ باب لا تقوم الساعة حتى يمر رجل/ (٢٩٢٢)/ دار الكتاب العربي) وهذا لفظه.

^(٩٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كيف بكم وبزمان» أو «يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم». (أخرجه أبو داود (٤٣٤٢) وابن ماجه (٣٩٥٧)/ صحيح).

^(٩٤) قال ابن حجر رحمه الله: وفيه أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة. ("فتح الباري" / ٦ / ص ٦١٠).

اليوم قد اعتدوا اعتداء صريحا على مقدساتهم. فهذا المسجد الأقصى هو مسجد مقدس عند كل مسلم ومؤمن.

وعليك أن تدعو الله أن يعز دينه وعباده وكتابه وسنة نبيه وأن فرج الله قادم وأن نصر الله قادم لعباده المؤمنين المخلصين وإن هؤلاء الكفار كما قيل:

وكان يُجيرُ الناس من سيف مالِكٍ ... فأصبح يبغي نفسه من يُجيرُها

وكان كعنز السَّوء قامت بظلفها ... إلى مُدْيَةٍ تحت التراب تثيرها^(٩٥)

نعم، والله إنهم كعنز السوء يسعون في التحريض بين شعوب المسلمين وفي الفتنة والاختلال والتحريق والحزبية. واليوم يجنون ثمارها من المسلمين ويتتهجون الوضع الراهن في شعوب المسلمين حيث هم مشغولون بالأحداث الساخنة على الصعود الإسلامية ينتهزون مثل هذه الفرص بتقويض بنية المسجد الأقصى ولكن الله من ورائهم محيط وعليهم مقتدر وهم أذل خلق الله لكن إذا ما مكن الله عليهم أهل الإيمان.

^(٩٥) قاله الفرزدق كما ذكر في كتاب "الحيوان" (للجاحظ / ١ / ص ٤٨٦).

اللهم قرب وعدك على هؤلاء اليهود الصهاينة، والله عليك بهم وبمن تمالأ معهم على ضرب أهل الإسلام. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. اللهم عليك بهم وبمن تمالأ معهم على إدخالهم في شعوب المسلمين. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً.

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهم أذل الشرك والمشركين، اللهم قاتل الكفرة المحلدين أعداءك أعداء الدين، اللهم اجعل لنا من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل عسر يسراً، ومن كل بلاء عافية، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرّجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا حاجة إلا يسرتها يا رب العالمين. اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين. اللهم من أراد ببلدنا هذا شراً فاجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره واكف المسلمين شرهم يا رب العالمين. اللهم خذ بنواصي المسلمين إلى كل خير، واعصمهم من كل شر واحفظهم من كل ضير، واجعل ولايتهم فيمن خافك واتقاك يا رب العالمين. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. في العالمين إنك حميد مجيد.

صنعا، ٤ ذوالحجة ١٤٣٦ هـ